



سلطنة عمان

كلية العلوم الشرعية

الخطاب القرآني للعقل الإنساني (سورة الأنعام أنموذجا)

اسم الباحث: محمود بن محمد بن حمد المعشري

إشراف الدكتور: أحمد بن جابر بن علي المسكري

سنة التخرج: ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م

إهداء البحث

أهدي هذا العمل إلى الوالدين العزيزين، وإلى إخوتي وأفراد أسرتي الكريمة، وإلى
أساتذتي، وإلى كل من علمني حرفاً فأصبح سناً برفقه يضيء الطريق أمامي.

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا البحث، الحمد لله حمدا كثيرا مباركا طيبا فيه كما يحب ربنا ويرضى...أما بعد:

ونتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور المشرف: أحمد بن جابر المسكري، على كل ما قدمه لنا من توجيه وعلم أسهم وساعد في إثراء موضوع البحث، كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى لجنة المناقشة الموقرة، وإلى كل من أسهم وشارك في إرشادي ونُصحي إلى أن تمت هذا البحث بتوفيق الله تعالى وكرمه.

ملخص البحث

اسم البحث: الخطاب القرآني للعقل الإنساني (سورة الأنعام أنموذجا)

اسم الباحث: محمود بن محمد بن حمد المعشري

اسم المشرف: الدكتور أحمد بن جابر بن علي المسكري

اسم المناقش: الدكتور محمد بن عبدالرحيم الزيني

أسباب اختيار البحث:

تشكل هذه القضية مسألة مهمة في عصرنا الحديث، نظرا لوجود تيارات فكرية ساقطة تدعو إلى الإفراط في إعمال العقل دون النظر إلى النصوص الشرعية، أو إهمال هذا العقل والدعوة إلى الإلحاد، من هنا جاء هذا البحث ليبين أسلوب القرآن الكريم في مخاطبة العقل الإنساني.

خطة البحث:

الفصل الأول: موقف الإسلام من العقل.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث

المطلب الأول: مفهوم الخطاب

المطلب الثاني: مفهوم العقل

المبحث الثاني: نظرة الإسلام إلى العقل

المطلب الأول: حجية العقل

المطلب الثاني: أهداف الخطاب القرآني وأثره في العقيدة الإسلامية

الفصل الثاني: الخطاب القرآني في سورة الأنعام

المبحث الأول: مقدمة عن سورة الأنعام

المطلب الأول: مناسبة النزول

المطلب الثاني: موضوعات السورة

المبحث الثاني: تحليل الأساليب الخطابية في السورة

المطلب الأول: أسلوب الحوار

المطلب الثاني: أسلوب القصة

المطلب الثالث: أسلوب التدليل الكوني

المطلب الرابع: أسلوب الوعظ

المطلب الخامس: أسلوب ضرب المثل

نتائج البحث:

بحمد الله تعالى وتوفيقه في هذا البحث توصلت إلى النتائج التالية:

١. أن سورة الأنعام محورها وموضوعها الأساس الإيمان بالله تعالى وما يتعلق به من قضايا.
٢. النماذج المختارة من سورة الأنعام للتحليل تُثبت أن الإنسان يمكنه الوصول إلى وحدانية الله - سبحانه وتعالى - باستخدام العقل.
٣. أن أسلوب الحوار في سورة الأنعام ورد بأنواع مختلفة بدأ من حوار الابن لأبيه ثم حوار نفسي ثم حوار مع الجمهوري، ويثبت ذلك التدرج في الوصول إلى وحدانية الله تعالى.
٤. أن أسلوب القصة في سورة الأنعام لم يكن صريحا، وإنما ورد بصورة الحكاية.
٥. في سورة الأنعام البرهنة على وجود الله تعالى بأسلوب النظر في آيات الكون وآفاقه.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين
وبعد...

سأتحدث في هذا البحث بعون الله تعالى عن الخطاب القرآني للعقل الإنساني في سورة الأنعام وأبين فيه مفهوم الخطاب والعقل ثم مكانة العقل في الإسلام ثم أتطرق إلى مجموعة من الأساليب الواردة في السورة ثم أحللها.

أهمية البحث:

أسهم البحث في بيان وفرز الأساليب التي استعملها القرآن الكريم في مخاطبة العقل الإنساني، وترسيخ أسس العقيدة والإيمان، كما أنه أسهم في خدمة رجال الدعوة من خلال تقديم نماذج عملية في القرآن الكريم تدل على المنهج الصحيح في محاجة غير المسلمين وإقناعهم بدين الله القويم، وبيان محاسن هذا الدين من خلال الحجج والبراهين العقلية.

طريقة البحث:

اتبعت في هذا البحث أسلوب عرض الآيات التي تتناسب مع المطلب المراد بحثه، ثم تفسير الآيات بحسب ما ورد في كتب التفسير، ثم التحليل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الفصل الأول : موقف الإسلام من العقل

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث

المطلب الأول: مفهوم الخطاب

المطلب الثاني: مفهوم العقل

المبحث الثاني: نظرة الإسلام إلى العقل

المطلب الأول: حجية العقل

المطلب الثاني: أهداف الخطاب القرآني وأثره في العقيدة الإسلامية

الفصل الأول : موقف الإسلام من العقل

التمهيد:

العقل له مكانة كبيرة ومنزلة رفيعة في الإسلام، ولعظم ذلك جعله الله نعمة وتشريفاً ومناط تكليف العباد، به يدركون التكاليف الشرعية من فهم لنصوص القرآن العظيم وأحاديث النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، ويعملون العقل في إدارة شؤون حياتهم اليومية.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث

المطلب الأول: مفهوم الخطاب

جاء في لسان العرب أن "الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً وهما يتخاطبان"^(١).

ويقول ابن فارس: "الخطاب أصله خطب: الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين، يقال: خاطبه يُخاطبه خطاباً، والخطبة من ذلك، وفي النكاح طلب أن يزوج، قال الله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ (البقرة/٢٣٥)، والأصل الآخر اختلاف لونين، قال الفراء: الخطباء: الأتان التي لها خط أسود على متنها. والحمار الذكر أخطب. والأخطب: طائر؛ ولعله يختلف عليه لونان." ^(٢). والذي يعيننا في هذا البحث الأصل الأول.

(١) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥م، ج٥، ص٩٢.

(٢) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٤٢هـ/٢٠٠١م، ص٣٠٤.

وفي الاصطلاح وجدت أن أهل كل علم يعرفون الخطاب بحسب تخصصاتهم، فقد ذكر كمال الدين في تيسير الأصول أنَّ الخطاب: "هو توجيه الكلام نحو الغير للإفهام"^(٣). وهذا المصطلح أقرب إلى المعنى اللغوي.

ويقول القرضاوي: الخطاب هو "البيان الذي يوجه باسم الإسلام إلى الناس مسلمين أو غير مسلمين، لدعوتهم إلى الإسلام، أو تعليمه لهم وتربيتهم عليه؛ عقيدة وشريعة، عبادة ومعاملة، فكرا وسلوكا، أو لشرح موقف الإسلام من قضايا الحياة والإنسان والعالم، فردية واجتماعية، روحية ومادية، نظرية وعملية"^(٤).

والخطاب عند الزيني هو: "محاولة للتعبير عن مضمون مبادئ الإسلام بوسائل متعددة، وصور متنوعة واضحة لما جاء به من عقيدة وشرعية، ومعاملات وقواعد للآداب وأسس وأخلاق"^(٥).

ونستخلص من هذا أمرين :

أن الخطاب القرآني هو الكلام الموجه من الله - سبحانه وتعالى - إلى العباد لإفهامهم شريعة الإسلام، من عقيدة وعبادات ومعاملات وأخلاق. وهذا من خلال الربط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للخطاب.

والخطاب يتكون من عدة عناصر وهي: "المصدر والمستقبل والرسالة والهدف"^(٦). فالمصدر هو الله - سبحانه وتعالى -، والمستقبل هم الناس جميعا المؤمن وغيره، والرسالة هو القرآن الكريم، والهدف من تلك الرسالة

(٣) ابن إمام الكمالية، كمال الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن (٨٧٤هـ)، تيسير الوصول إلى منهاج الأصول من المنقول والمعقول، ت: د. عبد الفتاح أحمد قطب الدخيسي، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، طنطا، القاهرة، ط ١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج ١، ص ٣١١، و شمس الدين الفناري، محمد بن حسين بن محمد (٨٣٤هـ)، فصول البدائع في أصول الشرائع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ، ج ١، ص ٢٠٠.

(٤) القرضاوي، يوسف بن عبد الله، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠١م، ص ١٥.

(٥) الزيني، محمد بن عبد الرحيم، تحديد الخطاب الديني، دار اليقين، مصر، المنصورة، ط ١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص ٣٥.

(٦) محمد مصطفى، أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن والتفسير، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط ٢، ٢٠١٧م، ص ٢٥٧.

دعوة الناس إلى شرع الله تعالى، وبيان محاسن الإسلام لغير المسلمين وترغيبهم فيه، وغرس العقيدة والإيمان. وسيأتي التفصيل في مبحث أهداف الخطاب القرآني وأثره في العقيدة الإسلامية.

المطلب الثاني: مفهوم العقل

جاء في معجم مقاييس اللغة: "عقل: العين والقاف واللام أصل واحد منقاس مطرد، يدل عظمه على حُبْسة في الشيء أو ما يقارب الحُبْسة، من ذلك العقل وهو الحابس عن ذميم القول والفعل".^(٧)

وقال الإمام الغزالي (ت: ٥٠٥هـ): "أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان فلا ينبغي أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه، فالأول الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية، والثاني: هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد وأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال: في حد العقل إنه بعض العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وهو أيضا صحيح في نفسه لأن هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر وإنما الفاسد أن تنكر تلك الغريزة ويقال لا موجود إلا هذه العلوم، والثالث: علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال فإن من حنكته التجارب وهذبه المذاهب يقال إنه عاقل في العادة، ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال: إنه غبي غمّر جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا، والرابع: أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها فإذا حصلت هذه القوة سُمّي صاحبها عاقلا من حيث إن إقدامه وإحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه أيضا من خواص الإنسان التي بها يتميز عن سائر الحيوان"^(٨)

^(٧) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ص ٦٤٧.

^(٨) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤م، ج ١، ص ٨٥ و ٨٦ (بتصرف).

وذكر الإمام السبكي (ت: ٧٧١هـ) في الطبقات عن الحارث بن أسد المحاسبي بأنه سئل عن معنى العقل فقال: "هو نور الغريزة، مع التجارب يزيد، ويقوى بالعلم وبالعلم" ^(٩).

وعرّف الشيخ الخليلي العقل بأنّه: "نور رباني أودعه الله فطرة الإنسان ليستهدي بشعاعه بين دياجير الطبيعة المطبقة" ^(١٠).

والعقل عند الزيني هو: "العقل يمثل القوة التي يمكن أن يتوصل من خلالها إلى كثير من المفاهيم الكلية من خلال تجريدها من المحسوسيات المادية المتغيرة العالقة بها" ^(١١).

والذي يعيننا في هذا البحث هو أن العقل وسيلة منحها الله تعالى لعبده ليميز بها الصواب من الخطأ والحق من الباطل، وتعينه على الابتكار والإبداع.

المبحث الثاني: نظرة الإسلام إلى العقل

احتل العقل مكانة كبيرة في الإسلام، فحينما خاطب الإسلام العقل خاطبه لفهم ما حوله وإدراك ما يحيط به من عناصر الوجود.

المطلب الأول: حجية العقل

العقل هو هبة من الله - سبحانه وتعالى - للإنسان، به ميزه عن سائر المخلوقات، وبالعقل يميز الإنسان الصواب من الخطأ، والخير من الشر، فالإسلام هو رسالة من الله لهذا الإنسان، والعقل هو الآلة لإدراك هذه

^(٩) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، ت: د. محمود محمد الطناحي و د. عبد الفتاح محمد الحلو، مخرج، ط ٢، ١٤١٣هـ، ج ٢، ص ٢٨١.

^(١٠) الخليلي، أحمد بن حمد، العقل بين جماع الطبع وترويض الشرع، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مكتب الإفتاء، سلطنة عمان، ٢٠٠٨م، ص ١٦.

^(١١) الزيني، محمد بن عبد الرحيم، منهج للحوار بين اتجاهات الفكر الإسلامي، دار اليقين، مصر، المنصورة، ط ١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص ٤٠.

الرسالة وفهمها، وبدون العقل لا يكون لهذا الرسالة معنى، فالإنسان العاقل هو المكلف بأوامر الله - سبحانه وتعالى-، وأما غيره من الأطفال ومن المجانين ليسوا مكلفين بأوامر الشرعية الإسلامية.

اختلف العلماء في تحكيم العقل إلى ثلاثة أصناف، "فالصنف الأول: حكم العقل مطلقاً، لذلك أثره على الشرع وجعله مصدر الأحكام وموئل الاحتكام كما نرى في الفكر المعاصر عن العلمانيين والملاحدة، والصنف الثاني: عطل العقل، فوقع في تناقض في فهمه لخطاب الشرع كما نرى عند السلفية، والصنف الثالث: جعل الشرع أمام نصب عينيه والعقل وسيلة لفهم النصوص الشرعية من حكم وأحكام"^(١٢).

ولا جدال أن الإسلام أمرنا بالرجوع إلى مصادر المعرفة التي تبدأ بالحواس والعقل والوحي، وفي ضوء ذلك يرى علماء الإسلام حجية العقل، وأن العقل من مصادر المعرفة المعترف بها، وقد نعى الإسلام على الذين يلغون عقولهم ووصفهم أنهم كالأنعام بل هم أضل من الأنعام.

الصنف الأول: تحكيم العقل مطلقاً.

ومذهب هؤلاء إعمال العقل والسبب في ذلك أن العقل يمكنه التحسين والتقبيح بين الأشياء. يقول ابن السبكي: "وذهبت المعتزلة إلى أن العقل له صلاحية الكشف عنهما وأنه لا يفتقر معرفة أحكام الله تعالى إلى ورود الشرائع وإنما الشرائع مؤكدة لما تقضي به العقول إما بالضرورة كحسن الصدق النافع وقبح الكذب الضار أو بالنظر كحسن الكذب النافع أو باستعانة الشرع كحسن صوم آخر يوم من رمضان وقبح أول يوم من شوال"^(١٣).

(١٢) الخليلي، العقل بين جماع الطبع وترويض الشرع، ص ١٦ و ١٧ (بتصرف)

(١٣) ابن السبكي، علي بن عبد الكافي بن علي، الإبهاج في شرح المنهاج (منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي (٧٨٥هـ))، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ج ١، ص ١٣٥.

وينسب هذا القول إلى المعتزلة وممن كانوا ينسبون هذا القول الشيخ الخليلي إلا أنه بعدما تبين له أن هذه النسبة خاطئة تبرأ من ذلك القول، وقال في كتابه البرهان: "وقد كنت في ما مضى مصدقا لما وجدته في الكتب أن المعتزلة غارقون في الاغترار بالعقل!! عند تعارضهما، وقد أثرت ذلك في بعض مؤلفاتي حتى تبين لي من بعد خلاف ما كنت أتصور عندما تيسر لي الاطلاع على كتبهم الكلامية والأصولية، لذلك رأيت أن أسجل هذه الحقيقة براءة للذمة وقياما بالقسط..."^(١٤).

والحقيقة "أن المعتزلة لا يحكمون العقل إلا عند تعارض النص فإنهم يعملون العقل وأن الأحكام الشرعية يرجع فيها إلى أدلة الشرع من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وذكر ذلك الشيخ الخليلي كما أنه أسند رأيه بقول كبار أئمة المعتزلة ومنهم: القاضي عبد الجبار (ت: ٤١٥ هـ)^(١٥) إذ يقول في كتابه الأصول الخمسة: ولن يكون المرء فقيها عالما بأحكام الشرع وأسبابها إلا وهو عالم بأصول الفقه، التي هي الكتاب والسنة والإجماع والقياس"^(١٦).

الصنف الثاني: لا حكم للعقل.

^(١٤) الخليلي، أحمد بن حمد، برهان الحق، الكلمة الطيبة، سلطنة عمان، مسقط، ط١، ١٤٣٧ هـ/٢٠١٦ م، ج٧، ص ٣٦٣ و ص ٣٦٤.

^(١٥) ترجمه: القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل بن عبد الله المعتزلي، ولد في أسد آباد في خراسان عام ٣٥٩ هـ، ومن أشهر ألقابه: قاضي القضاة، ومن أشهر أساتذته: أبو إسحاق بن عياش إبراهيم بن عياش البصري، ومن أشهر كتبه في الكلام الدواعي والصوراي، مات في شهر ذي القعدة سنة ٤١٥ هـ، وهو من أبناء التسعين.

^(١٦) ينظر: الخليلي، برهان الحق، ج٧، ص ٣٣٦ (بتصرف).

وذهب الأشاعرة إلى أنه لا حكم للعقل، والسبب في ذلك تفاوت العقول، واختلافها من فرد إلى آخر. يقول ابن النجار في شرح الكوكب المنير: "ويختلف العقل كالمدرّك به، أي: بالعقل، لأننا نشاهد قطعاً آثار العقول في الآراء والحكم والحيل وغيرها متفاوتة، وذلك يدل على تفاوت العقول في نفسها"^(١٧).

الصنف الثالث: الجمع بين الشرع والعقل.

"وذهبت المتأريدية إلى الجمع بين القولين، فالعقل يدرك الحسن والقبح"^(١٨)، وأحياناً يختلف في أشياء، فيكون الحكم للشرع وليس للعقل.

يقول أبو منصور المتأريدي (ت: ٣٣٣هـ)^{١٩}: "والأصل أن العقول إنشاءات متناهية تقصر عن الإحاطة بكلية الأشياء، والأفهام متناقضة عن بلوغ غاية الأمور... فمن رام الإحاطة بها أو بلوغ حكمة الربوبية من غير إشارة منه، فهو يظلم العقل، ويحمل عليه ما يعلم عجزه عنه"^(٢٠). ويفهم من كلامه أن العقل لا يفي وحده بفهم الشريعة.

ورأي الباحث: الجمع بين الشرع والعقل، فالشرع هو الأساس، وأن العقل وسيلة لفهم النصوص الشرعية، فلا يتصور أن يكون الشرع منفرداً دون أعمال العقل فيه، ومثال على ذلك استنباط الأحكام والمسائل الفقهيّة،

^(١٧) ابن النجار، محمد بن أحمد بن عبدالعزيز (٩٧٢هـ)، شرح الكوكب المنير، ت: د. محمد الزحيلي ود. نزيه حمادة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣هـ، ج ١، ص ٨٥ و المرداوي، علي بن سليمان (٨٨٥هـ)، ت: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ج ١، ص ٢٧٦.

^(١٨) اللهيبي، أحمد بن عوض الله، المتأريدية دراسة وتقويم، دار العاصمة، ط ١، ١٤١٣هـ، ص ٥٠٠ (بتصرف).

^(١٩) ترجمه: أبو منصور محمد بن محمد بن محمود المتأريدي السمرقندي الأنصاري، يُكنى بأبي منصور، ولد بماتريد أو مائريت (بضم التاء) وهي محلة بسمرقند في بلاد ما وراء النهر، عاش في زمن الدولة العباسية، حنفي المذهب، ومن أشهر ألقابه: إمام الهدى وإمام المتكلمين، ومن أشهر شيوخه: أبو بكر أحمد بن إسحاق الجوزجاني، أبو نصر أحمد بن العياضي، ومن أشهر تلامذته: أبو القاسم إسحاق بن محمد بن إسماعيل والإمام أبو الليث البخاري، وألف في العقيدة وعلم الكلام مثل كتاب التوحيد، وفي أصول الفقه مثل كتاب الجدل وفي التفسير وعلوم القرآن رسالة فيما لا يجوز الوقف عليه في القرآن، تُوفي في سمرقند ودُفن هناك عام ٣٣٣هـ.

^(٢٠) أبو منصور، محمد بن محمد بن محمود (٣٣٣هـ)، تفسير المتأريدي، ت: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج ٤، ص ٤٥٧.

كما لا يتصور أن يكون العقل بنفسه مستقلا عن الشرع، ومثال على ذلك الربا في المال من حيث العقل يُحب أن يكسب مالا دون جهدٍ وعناء ومن حيث الشرع الربا محرمٌ لما فيه من الضرر الكبير على الفرد والمجتمع.

المطلب الثاني: أهداف الخطاب القرآني وأثره في العقيدة الإسلامية.

أهداف الخطاب القرآني:

١. "تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى" (٢١).

إن الهدف القرآني الأساس هو تأسيس مبدأ التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى، وكل المخلوقات في هذا الكون خلقت لعبادة الله وحده ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات/٥٦)، ومثال على دعوة القرآن الكريم إلى توحيد الله قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (النمل/٥٩:٦١).

٢. "تحقيق السعادة الأبدية للإنسان" (٢٢).

إن المتأمل في آيات الله تعالى يجد أن الخطاب الموجه فيها يدعو الإنسان إلى العمل ويخبره بأن العمل بما جاء في القرآن يحقق له سعادة في الدنيا ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

(٢١) قاسمي السعيد، المنهج القرآني في بناء العقيدة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإسلامية، شعبة العقيدة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في العقيدة الإسلامية، إشراف: د. سعيد فكرة، السنة الجامعية ٢٠١٣م/٢٠١٤م، ص ٢٧٥.

(٢٢) قاسمي سعيد، المنهج القرآني في بناء العقيدة، ص ٢٧٦.

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ (النحل/٩٧)، والسعادة الأبدية في الآخرة ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة/١٧).

٣. "أن القرآن الكريم صبغ المواضيع التي تطرق إليها ليعالجها بصبغة الهدى والموعظة والإرشاد، بمعنى أن العرض القرآني للموضوعات لا يكون على شكل وحدات مستقلة ومنفصلة كما هو المعهود في الكتب التي يؤلفها البشر وإنما موضوعات متضامنة مع بعضها البعض كأنها شرايين التوجيه والنصح والهداية" (٢٣).

ومثال ذلك سورة الأنعام نجد أن محورها الأساس الإيمان بالله تعالى إلا إنها عرضت مجموعة من الموضوعات التي تصب في نفس المحور بطرق وأنواع وأساليب مختلفة.

٤. "التدرج في الأحكام وبيان كيفية أخذ الناس بها" (٢٤)

ومثال ذلك حرمة الخمر، نجد في القرآن الكريم أن الخمر لم يحرم بنص قرآني واحد وإنما بالتدرج على مراحل:

أ- المرحلة الأولى: يبين الله سبحانه وتعالى للناس أن شرب الخمر فيه إثم، وفيه منفعة، ولكن الإثم أكبر من المنفعة يقول سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة/٢١٩).

ب- المرحلة الثانية: النهي عن شرب الخمر عند وقت الصلاة، يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُؤُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سَكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ...﴾ (النساء/٤٤).

(٢٣) البوطي، د. محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن، مكتبة الفارابي، دمشق، ص ٢١١ (بتصرف).

(٢٤) البوطي، من روائع القرآن، ص ٢١٢.

ت - المرحلة الثالثة: تحريم الله تعالى الخمر ويبين المولى الكريم أن الخمر رجس من عمل الشيطان، وأمر بجنبه لكي يحظى المؤمن بالفلاح، يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة/٩٠).

٥. "السير بالناس في الأحكام نحو السهولة والتيسير" (٢٥).

الإسلام دين اليسر وأحكامه كلها تقود الإنسان إلى الهداية والرشاد، وتراعي الضعف الإنساني ونوازعه، ومن ذلك قول المولى الكريم سبحانه وتعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة/٦) وقوله سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة/١٨٥).

٦. "إن القرآن يضع المتأمل في آياته في حالة وسطى بين الخوف من عذاب الله وبين رجاء رحمته وعفوه" (٢٦).

ومثال ذلك قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨) نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْعَفْوَ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ (الحجر/٥٠:٤٥).

أ - وصف الكفرة والمشركين المستحقين للعذاب بأسوأ أعمالهما وأخط ما انتهوا إليه من الخصال.

ومثال ذلك قول المولى الكريم سبحانه وتعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ (المدثر/٤٧:٤٢).

(٢٥) البوطي، من روائع القرآن، د. ط، ص ٢١٢ (بتصرف).

(٢٦) البوطي، من روائع القرآن، ص ٢١٢: ٢١٥ (بتصرف).

ب- ذكر الجنة ونعيمها والصالحين وما أعدّه الله لهم من مثوبة ثم يذكر بعدها النار وهولها والكافرين وما أعدّ الله لهم من العقوبة.

ومثال ذلك قول المولى الكريم سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَائِهِونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ (٥٦) هُمْ فِيهَا فَائِهِونَ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ (٥٧) سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ (٥٨) وَامْتَنَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٥٩) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (يس/٦١:٥٥).

وهذه بعض أهداف الخطاب القرآني والآن سأحدث عن أثر الخطاب القرآني في بناء العقيدة الإسلامية.

إن خطاب القرآن جاء ليُرسخ الإيمان وتوحيد الله تعالى في نفوس العباد، فكانت العقيدة هي البذرة التي زُرعت في نفوس الأفراد، فبدأ تأثير تلك البذرة في إصلاح القلب والنفس من خلال تركيتهما وتطهيرهما من الأمراض القلبية والنفسية كالحسد والغل والكراهية والعداوة والبغضاء وغير ذلك، وأسست في ذلك القلب المحبة والود والألفة، ثم تفرعت أغصانها في جوارح هذا الفرد، فسَلِمَ الناس من لسانه ويده، وهذه هي الثمرة الحقيقية للعقيدة الإسلامية إيماناً وأمان لكل الخلق.

وبعد إصلاح الفرد روحاً وجسداً، تتسع دائرة الإصلاح من مستوى الفرد إلى مستوى الأسرة، فتعيش الأسرة في أرقى درجات السعادة والاطمئنان.

ثم تتسع الدائرة من مستوى الأسرة إلى مستوى المجتمع، فيكون مجتمعاً آمناً مطمئناً، خالياً من الفساد والانحلال الأخلاقي والجرائم، متحلياً بالعلم والأخلاق النبيلة والفاضلة. فيكون المجتمع متقدماً في شتى مجالات الحياة العلمية والصناعية والزراعية والتقنية.

والخلاصة: إن العقيدة الإسلامية المستخلصة من المنبع الصافي وهو القرآن الكريم، عندما يتحلى بها الفرد يعمُ خيره لنفسه ثم لأسرته ثم لمجتمعه، فإن أردت أن تبني حضارةً فأسس في أفرادها عقيدة صحيحة.

الفصل الثاني: الخطاب القرآني في سورة الأنعام

المبحث الأول: مقدمة عن سورة الأنعام

المطلب الأول: مناسبة النزول

المطلب الثاني: موضوعات السورة

المبحث الثاني: تحليل الأساليب الخطابية في السورة

المطلب الأول: أسلوب الحوار

المطلب الثاني: أسلوب القصة

المطلب الثالث: أسلوب التدليل الكوني

المطلب الرابع: أسلوب الوعظ

المطلب الخامس: أسلوب ضرب المثل

الفصل الثاني: الخطاب القرآني في سورة الأنعام

التمهيد:

تمثل سور القرآن الكريم منارات هداية، فالخطاب القرآني شامل للإنسان حيثما كان، وخطاب القرآن يرفع الإنسان إلى مدارج الرقي والتقدم، وسوف نرى هذه الحقائق واضحة في سورة الأنعام.

المبحث الأول: مقدمة عن سورة الأنعام

المطلب الأول: مناسبة النزول

سورة الأنعام من السور الطوال في القرآن الكريم، فقد احتوت على مئة وخمس وستون آية، وهي السورة السادسة في ترتيب المصحف الشريف، وذكر القرطبي (ت: ٦٦٧هـ)^(٢٧) في التفسير: "وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت سورة الأنعام بمكة، إلا قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ...﴾ (الأنعام/٩١)، إلى آخر ثلاث آيات، وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ...﴾ (الأنعام/١٥١) إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فهذه الست آيات مدنيات"^(٢٨).

^(٢٧) ترجمه: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج كنيته أبو عبد الله ولد بقرطبة ب(الأندلس)، ومن أشهر ألقابه: شمس الدين، تعلم القرآن الكريم وقواعد اللغة العربية وتوسع بدراسة الفقه والقراءات والبلاغة وعلوم القرآن وغيرها كما تعلم الشعر أيضاً ومن أشهر مؤلفاته جامع البيان لأحكام القرآن، انتقل إلى مصر واستقر بمنية بني خصيب (المنيا) حتى وافته المنية في ٩ شوال ٦٧١ هـ، وهو يعتبر من كبار المفسرين وكان فقيهاً ومحدثاً ورعاً وزاهداً متعبداً.

^(٢٨) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج (٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ج ٦، ص ٣٨٢.

وذكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)^(٢٩) في الإتيان أنها "سورة من السور المكية إلا ثلاث آيات من قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ...﴾ (الأنعام/١٥١) إلى تمام الآيات الثلاث" (٣٠)،

أما سبب نزول هذه السورة الكريمة ففيه قولان: قيل: بأنها نزلت جملة واحدة، فقد ذكر صاحب الدر المنثور مجموعة من الروايات في نزول سورة الأنعام دفعت واحدة ومن هذه الروايات: "أخرج أبو عبيدة وابن الضريس في فضائلهما وابن المنذر والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة حولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح، وأخرج ابن الضريس عن ابن عباس قال: أنزلت سورة الأنعام جميعاً بمكة معها موكب من الملائكة يشيعونها قد طبقوا ما بين السماء والأرض لهم زجل بالتسبيح حتى كادت الأرض أن ترتج من زجلهم بالتسبيح ارتجاجاً فلما سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- زجلهم بالتسبيح رعب من ذاك فخر ساجداً حتى أنزلت عليه بمكة، وأخرج البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) في الشعب وضعفه والخطيب في تاريخه عن علي بن أبي طالب قال: أنزل القرآن خمسا خمسا ومن حفظ خمسا خمسا لم ينسه إلا سورة الأنعام فإنها نزلت جملة في ألف يشيعها من كل سماء سبعون ملكاً حتى أدوها إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- ما قرئت على عليل إلا شفاه الله" (٣١).

وقيل: أنها نزلت متفرقة، فتعددت أسباب النزول لتعدد الحوادث، والروايات الواردة في ذلك ضعفها الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ) في روح المعاني، حيث قال: "...وغالبها في هذا المطلب ضعيف وبعضها موضوع كما

(٢٩) ترجمه: عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد سابق الدين خضر الخضيرى الأسيوطى المشهور باسم جلال الدين، ولد في القاهرة عام ٨٤٩هـ، من أشهر شيوخه: ابن حجر العسقلاني، ومن أشهر تلامذته: جلال الدين المحلي ومحمد بن عبد الرحمن العلقمي، ومن أشهر كتبه: الإتيان في علوم القرآن والدر المنثور في التفسير وإسعاف المبطأ برجال الموطأ، توفي في القاهرة عام ٩١١هـ.

(٣٠) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ)، الإتيان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ج ١، ص ٣٩ (بتصرف).

(٣١) السيوطي، عبد الرحمن بن جلال الدين (٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٣هـ/ ١٤١٤م، ج ٣، ص ٢٤٣ و ٢٤٤.

لا يخفى على من نقر عنها. ولعل الأخبار بنزول هذه السورة جملة أيضا كذلك. وحكى الإمام اتفاق الناس على القول بنزولها جملة ثم استشكل ذلك بأنه كيف يمكن أن يقال حينئذ في كل واحدة من آياتها إن سبب نزولها الأمر الفلاني مع أنهم يقولونه. والقول بأن مراد القائل بذلك عدم تخلل نزول شيء من آيات سورة أخرى بين أوقات نزول آياتها مما لا تساعده الظواهر بل في الأخبار ما هو صريح فيما ياباه. والقول بأنها نزلت مرتين دفعة وتدرجاً خلاف الظاهر ولا دليل عليه^(٣٢).

"ويقول صاحب المنار بأنه يمكن دفع هذا الإشكال بأمرين:

١. أنه لم يقل أحد بأن لكل آية من آيات هذه السورة سببا وإنما قيل ذلك في زهاء العشر من آياتها.
٢. أن ما قيل في أسباب نزول تلك الآيات بعضه لا يصح، والبعض الآخر لا يدل على نزول تلك الآيات متفرقة، وإنما قالوا أن آية كذا نزلت في كذا أو في قول المشركين كيت وكيت^(٣٣).

وقد وجدت أسبابا متعددة لنزول هذه السورة الكريمة، وسأذكر شيئا منها :

١. سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (سورة الأنعام/٧)، "قال الكلبي إن مشركي مكة قالوا: يا محمد والله لا نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنه من عند الله وأنتك رسوله فنزلت هذه الآية.

٢. وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنعام/١٣)، قال الكلبي عن ابن عباس: إن كفار مكة أتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: يا محمد إنا قد علمنا أنه إنما يملك

(٣٢) الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (١٢٧٠هـ)، روح المعاني، ت: علي عبدالبراي عطيه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ج٤، ص٧٢.

(٣٣) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين (١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج٧،

على ما تدعو إليه الحاجة، فنحن نجعل لك نصيبا في أموالنا حتى تكون أغنانا رجلا وترجع عما أنت عليه، فنزلت هذه الآية" (٣٤).

٣. وفي باب النقول: "قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام/١٩) أخرج ابن إسحق وابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: جاء النحام بن زيد وقروم بن كعب وبحري بن عمرو فقالوا يا محمد ما نعلم مع الله إلها غيره فقال لا إله إلا الله بذلك بعثت وإلي ذلك أدعو فأنزل الله في قولهم قل أي شيء أكبر شهادة الآية" (٣٥).

٤. قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الأنعام/٢٥)، قال ابن عباس في رواية أبي صالح: إن أبا سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، وأمّية وأبيا ابني خلف، استمعوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا للنضر: يا أبا قتيلة ما يقول محمد؟ قال: والذي جعلها بيته ما أدري ما يقول، إلا أرى يحرك شفّتيه يتكلم بشيء وما يقول إلا أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية، وكان النضر كثير الحديث عن القرون الأولى، وكان يحدث قريشا فيستملحون حديثه، فأنزل الله تعالى هذه الآية". (٣٦)

(٣٤) الواحدي، علي بن أحمد (٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، ت: عصام عبدالحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط ٢،

١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص ٢١٤

(٣٥) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، لباب النقول في أسباب النزول، ت: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

ص ٨٨.

(٣٦) الواحدي، أسباب النزول، ص ٢١٤ و ٢١٥.

٥. نزول قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (الأنعام/٢٦)،
 "عن ابن عباس في قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ قال: نزلت في أبي طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا
 رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويتباعد عما جاء به. وهذا قول عطاء بن دينار والقاسم بن مخيمرة. قال
 مقاتل: وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان عند أبي طالب يدعوه إلى الإسلام، فاجتمعت قريش
 إلى أبي طالب يريدون سوءا بالنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال أبو طالب:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم	حتى أوسد في التراب دفيناً
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة	وابشر وقر بذاك منك عيوناً
وعرضت ديناً لا محالة أنه	من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حذاري سبة	لوجدتني سمحاً بذاك متيناً

فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ الآية" (٣٧).

٦. قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام/٣٣)، "قال السدي: التقى الأخنس بن شريق وأبو جهل بن هشام، فقال الأخنس لأبي
 جهل: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس هنا من يسمع كلامك غيري، فقال أبو
 جهل: والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابه
 والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية" (٣٨).

٧. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ
 وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام/٥٢) "أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد
 بن أحمد بن جعفر قال: أخبرنا زاهر بن أحمد قال: أخبرنا الحسين بن محمد بن مصعب قال: حدثنا يحيى بن

(٣٧) الواحدي، أسباب النزول، ص ٢١٥، ذكر المؤلف في الحاشية أن قول عطاء أخرجه ابن جرير وإسناده صحيح.

(٣٨) الواحدي، أسباب النزول، ص ٢١٦.

حكيم قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا قيس بن الربيع، عن المقدام بن شريح عن أبيه عن سعد قال: نزلت هذه الآية فينا ستة في وفي ابن مسعود وصهيب وعمار والمقداد وبلال، قالت قريش لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - إنا لا نرضى أن نكون أتباعا لهؤلاء فاطردهم عنك، فدخل قلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ذلك ما شاء الله أن يدخل، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ الآية" (٣٩).

٨. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام/٥٤)، "قال عكرمة: نزلت في الذين نهى الله تعالى نبيه - صلى الله عليه وسلم - عن طردهم، فكان إذا رآهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بدأهم بالسلام وقال: "الحمد لله الذي جعل في أمي من أمري أن أبدأهم بالسلام". وقال ماهان الحنفي: أتى قوم النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: إنا أصبنا ذنوبا عظاما، فما إخاله رد عليهم بشيء، فلما ذهبوا وتولوا نزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾" (٤٠).

٩. قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ (٥٧) قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام/٥٧ و٥٨)، "قال الكلبي: نزلت في النضر بن الحارث ورؤساء قريش، كانوا يقولون: يا محمد اثنتا بالعذاب الذي تعدنا به. استهزاء منهم، فنزلت هذه الآية" (٤١).

١٠. قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ (الأنعام/٦٥)، "أخرج ابن أبي

(٣٩) الواحدي، أسباب النزول، ص ٢١٦.

(٤٠) الواحدي، أسباب النزول، ص ٢١٨.

(٤١) الواحدي، أسباب النزول، ص ٢١٩.

حاتم عن زيد ابن أسلم قال لما نزلت قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم الآية قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف قالوا ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فقال بعض الناس لا يكون هذا أبدا أن يقتل بعضنا بعضا ونحن مسلمون فنزلت: ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (٦٥) وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (٦٦) لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام/٦٥:٦٦) "٤٢).

١١. قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (سورة الأنعام/٩١)، "قال ابن عباس في رواية الوالي: قالت اليهود: يا محمد، أنزل الله عليك كتابا؟ قال: "نعم" قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتابا فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾" ٤٣).

١٢. قول تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (سورة الأنعام/٩٣)، "وقال سعيد بن جبير: جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف، فخاصم النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟"، وكان حبرا سمينا، فغضب وقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال له أصحابه الذين معه: ويحك، ولا على موسى؟! فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فأنزل الله تعالى هذه الآية". ٤٤).

(٤٢) السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، ص ٩٠.

(٤٣) الواحدي، أسباب النزول، ص ٢١٩.

(٤٤) الواحدي، أسباب النزول، ص ٢٢٠.

١٣. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام/١٠٨)، "قال ابن عباس في رواية الوالي: قالوا: يا محمد لتنتهين عن سبك آلهتنا أو لنهجون ربك، فنهى الله أن يسبوا أوثانهم فیسبوا الله عدواً بغير علم" (٤٥).

١٤. قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَتُغْلَبُ أْقَدَّتْهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ (الأنعام/١١١: ١٠٩)، "أخبرنا محمد بن موسى بن الفضل قال: حدثنا محمد بن يعقوب الأموي قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال: حدثنا يونس بن بكير عن أبي معشر، عن محمد بن كعب قال: كلمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قريش فقالوا: يا محمد إنك تخبرنا أن موسى عليه السلام كانت معه عصا ضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، وأن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى، وأن ثمود كانت لهم ناقه، فأتنا ببعض تلك الآيات حتى نصدقك، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "أي شيء تحبون أن آتيكم به" فقالوا: تجعل لنا الصفا ذهباً، قال: "فإن فعلت تصدقوني"، قالوا: نعم والله لئن فعلت لتتبعنك أجمعين، فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعو، فجاءه جبريل عليه السلام وقال: إن شئت أصبح الصفا ذهباً، ولكني لم أرسل آية فلم يصدق بها إلا أنزلت العذاب، وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "اتركهم حتى يتوب تائبهم"، فنزلت الآية" (٤٦).

١٥. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام/١٢١) "قال المشركون: يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا

(٤٥) الواحدي، أسباب النزول، ص ٢٢١.

(٤٦) الواحدي، أسباب النزول، ص ٢٢٢ وص ٢٢٣.

ماتت من قتلها، قال: "الله قتلها"، قالوا: فتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتل الكلاب والصقر حلال، وما قتله الله حرام، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٤٧)

١٦. قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام/١٢٢) "قال ابن عباس: يريد حمزة بن عبد المطلب وأبا جهل، وذلك أن أبا جهل رمى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بفرت وحمزة لم يؤمن بعد، فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه ويده قوس، فأقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس وهو يتضرع إليه ويقول: يا أبا يعلى، أما ترى ما جاء به؟! سفه عقولنا، وسب آلهتنا، وخالف آباءنا؟ قال حمزة: ومن أسفه منكم؟! تعبدون الحجاره من دون الله، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٤٨)."

ويتبين لنا مما ذكرنا من المناسبات الماضية أن هذه السورة الكريمة جاءت لتقرر لقريش ولصناديدها وللمشركين إلى أن تقوم الساعة حقائق الإيمان بالله - سبحانه وتعالى - وحقائق اليوم الآخر وغيرها من حقائق أصول هذا الدين وسيأتي بيان ذلك في المطلب الثاني الذي بعنوان موضوعات السورة إن شاء الله تعالى.

المطلب الثاني: موضوعات السورة

إن سورة الأنعام من السور المكية التي جاءت لتعالج قضايا العقيدة الإسلامية، المفتحة بحمد الله تعالى، المبينة لعظمة الله تعالى في خلق خلقه القائل سبحانه وتعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (الأنعام/١) "ابتدأت بإشعار الناس بأن حق الحمد ليس إلا لله لأنه مبدع العوالم جواهر وأعراضا فعلم أنه المتفرد بالإلهية. وإبطال تأثير الشركاء من الأصنام والجن بإثبات أنه المتفرد بخلق العالم جواهره وأعراضه، وخلق الإنسان ونظام

^(٤٧) الواحدي، أسباب النزول، ص ٢٢٣.

^(٤٨) الواحدي، أسباب النزول، ص ٢٢٤.

حياته وموته بحكمته تعالى وعلمه، ولا تملك آلهتهم تصرفا ولا علما. وتنزيه الله عن الولد والصاحبة. قال أبو إسحاق الإسفرائيني في سورة الأنعام كل قواعد التوحيد^(٤٩).

إن الموضوع الرئيس في هذه السورة الكريمة هو العقيدة الإسلامية، وقد ذكر سيد قطب في ظلال القرآن موضوعات السورة إجمالا في المقدمة وهذا خلاصة ما قاله:

(١) "بدأت السورة بمواجهة المشركين الذين اتخذوا مع الله إلها آخر وذلك بعرض حقيقة الألوهية، وتمثل ذلك في حقيقة الوجود الكوني: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (الأنعام/١)، وحقيقة الوجود الإنساني: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُوتُونَ﴾ (الأنعام/٢).

(٢) عرض موقف المكذبين بآيات الله في الكون والحياة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ (الأنعام/٤).

(٣) التعريف بحقيقة الألوهية، يقول المولى الكريم: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام/١١).

(٤) تتحدث عن معرفة أهل الكتاب للقرآن الكريم الذي كذب به المشركون، وتصف هذا الشرك بأنه ظلم، يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (الأنعام/٢٠ و٢١).

(٤٩) ابن عاشور، محمد الطاهر (١٩٧٣م)، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس ط ١٩٨٤م، ج ٧، ص ١٢٣.

٥) إلتفات السياق إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ويسري عنه ما يحزنه من تكذيب المشركين له، يقول سبحانه: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام/٣٣)"(٥٠).

وفي تفسير معارج التفكير ذكر أن السورة الكريمة: "بيانات دعويات مباشرة من الله عز وجل، تكشف حقائق العقيدة والسلوك، وجدليات الكافرين، ومواعظ ترغيبية وترهيبية موجهة لهم، بحسب الطور الذي هم عليه إبان تنزيل السورة، مع تعليمات وتوصيات تربوية وتكليفات من الله عز وجل لرسوله -صلى الله عليه وسلم-، ملائمة للطور الذي كان عليه، ويُلحق به فيها كل حامل لرسالته من أمته، ثم سائر المؤمنين المسلمين ولكل منهم ما يلائم أحواله منها"(٥١). ونستنتج من ذلك أن سورة الأنعام جاءت لتعالج موضوع العقيدة الإسلامية والقضايا المتعلقة بها، وخاصة أنها من السور المكية الطوال، عرضت السورة الكريمة هذا الموضوع بأساليب متنوعة ومتعددة، وسنطرح بعضاً من هذا الأساليب في المبحث القادم.

المبحث الثاني: تحليل الأساليب الخطابية في السورة

المطلب الأول: أسلوب الحوار

إن الحوار وسيلة من وسائل الإقناع والجدال التي ييدي فيها كل طرف من أطراف الحوار عما يدور في مكنون نفسه ليُمَيِّز الصواب من الخطأ.

والموضع المختار من هذه السورة الكريمة لهذا الأسلوب هو قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه.

(٥٠) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر، ط٣٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ج٧، ص١٠٢٢: ص١٠٢٤ (بتصرف).

(٥١) الميداني، عبدالرحمن حسن جنبكة، معارج التفكير ودقائق التدبر، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ج١١، ص١٣٩ (بتصرف).

المقطع الأول: يقول المولى جل شأنه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٧٤) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (الأنعام ٧٤/٧٥)

افتتح الله - سبحانه وتعالى - القصة بحوار الابن لأبيه بأسلوب الاستفهام الإنكاري يدل على أن الأمر المستفهم عنه أمر منكر، وهو اتخاذ الأصنام إلهاً من دون الله تعالى، والأصنام "هي شيء من الحجارة يصنع على مثال حي،...ومن المعلوم أن الناس لهم أسباب مباشرة في الحياة؛ فالإنسان حين يتطلب الضوء يرى الشمس قد أشرقت، وفي الليل يرى القمر قد طلع، ويرى الإنسان فيها السببية الظاهرة، فيعتقد أنها الفاعلة، وحين يرى هذه الأشياء ويظن أنها الفاعلة يظن أن لها قداسة سواء أكانت الشمس أم القمر، فقبل أن تعبد الأصنام عبدت كواكب" (٥٢).

ثم انتقل الحوار من حوار الابن لأبيه إلى أسلوب الحوار النفسي سماه الدكتور الشايع "التفكير بصوت مسموع ويقصد به مخاطبة الفطرة السليمة النقية، بحثاً عن الحق والحقيقة، والاستدلال بالأدلة الموصلة إليها والمعينة عليها" (٥٣). ويقول سيد قطب هذا الانتقال: "الرحلة الشائقة مع فطرة إبراهيم الصادقة.. إنها رحلة هائلة وإن كانت تبدو هينة ميسرة! رحلة من نقطة الإيمان الفطري إلى نقطة الإيمان الواعي" (٥٤).

المقطع الثاني: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ (الأنعام ٧٦/٧٧).

في هذه الآيات الكريمة بدأ سيدنا إبراهيم عليه السلام يتأمل في مكلوت الله - سبحانه وتعالى - مستخدماً أسلوب حوار الفطرة النقية التي فطره الله - سبحانه وتعالى - عليها، "وقد كان قوم إبراهيم صابئين يعبدون

(٥٢) الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (١٤١٨هـ)، تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج ٦، ص ٣٧٣٥ (بتصرف).

(٥٣) مصطلح ذكره الأستاذ الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع في بحث بعنوان الحوار في قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم دروس ودلالات، مقدم لمؤتمر الحوار في الفكر الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الشارقة (بتصرف).

(٥٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٢، ص ١١٣٩.

الكواكب ويصورون لها أصناما، وتلك ديانة الكلدانيين قوم إبراهيم^(٥٥)، ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ أي أظلم الليل إظلاما على إبراهيم، أي كان إبراهيم محوطا بظلمة الليل^(٥٦).

و يقول سيد قطب(ت: ١٩٦٦م): "كأنما الليل يحتويه وحده، وكأنما يعزله عن الناس حوله ليعيش مع نفسه وخواطره وهمه الجديد الذي يشغل باله ويزحم خاطره"^(٥٧)، وهو موضوع بيانه لقومه من خلق الكون؟، ومنها تنطلق رحلة الفطرة الصادقة الراغبة في إثبات الحقيقة، رأى سيدنا إبراهيم عليه السلام كوكبا، ومن الطبيعي أن يرى الإنسان في لياليه النجوم والقمر وبعض أضواء الكواكب القريبة من الأرض، ولكن سيدنا إبراهيم في هذه الليلة كانت رؤيته رؤية تدبر وتأمل، والكوكب الذي رآه في هذه الليلة "ينطق بما لم ينطق به من قبل، ويوحى إلى خاطره بما يتفق مع الهم الذي يشغل باله، ويزحم عليه عالمه"^(٥٨)، فأراد سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يتدرج في إثبات الحجة لقومه فقال: هذا ربي.

ويمكن هنا أن نطرح سؤالا: ما الدافع الذي جعل سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يقول لقومه هذا ربي؟

لو تأملنا في الصنم لوجدنا أن الصنم عبارة عن حجر - كما ذكرنا سابقا - من صنع الإنسان، فيكون الإنسان هو الذي وجد قبل ثم الصنم وهذا يخالف منطق العقل، إذ إن منطق العقل أن وجود الخالق قبل المخلوق، إضافة إلى ذلك أن الصنم أصم أبكم أعمى لا يرتجى منه نفع ولا ضرر فلا يمكن للروح أن تتعلق بجماذ، بالإضافة الى ذلك أن الصنم قد يكون في حجم إنسان أو أصغر من ذلك أو أكبر بقليل فيكون مغلوبا مقهورا تحت ملك الإنسان ولا يتصور أن المملوك يكون ملكا بل هو عبد للمالك منذ قديم الزمن، ولو نظرنا

(٥٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٧، ص ٣١٧.

(٥٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٧، ص ٣١٧.

(٥٧) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٢، ص ١١٣٩.

(٥٨) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٢، ص ١١٤٠.

إلى الكوكب لوجدنا أن الكوكب أكبر من الإنسان، وأنه في ارتفاع لا يستطيع الإنسان أن يصل إليه، بالإضافة إلى نوره في الليلة الظلماء، فهو بهذه الحال "أقرب من الأصنام إلى أن يكون ربا" (٥٩).

ولكن سيدنا إبراهيم عليه السلام أراد أن يثبت لقومه أن هذا الكوكب ليس هو الرب، وبرهن لهم أن الكوكب أفل، ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ (الأنعام/٧٦).

ونطرح هنا سؤالاً آخر: لماذا سيدنا إبراهيم عليه السلام انتقل من القمر إلى الكوكب ولم يثبت لقومه بأنه الرب؟

وذلك لأمرين: الأول: أن الأسلوب المستخدم أسلوب حوار للتدرج في إقامة الحجة ومن حيث المنطق العقلي لو أن ملكاً لدولة معينة ترك رعيته لمدة ليلة واحدة دون رقابة ورعاية ودون تدبير أمر هذه الدولة، فما الذي يحصل في البلاد؟ ستعج البلاد بالفوضى العارمة، والدمار والفساد العظيم، فغياب الملك عن مملكته يورث الدمار، فمن باب أولى غياب الخالق عن خلقه يورث الهلاك.

والأمر الثاني: كما ذكر سيد قطب: "أنه لا يمكن للفطرة أن تُسلم بمثل هذه القضايا المنطقية لفروض جدلية، وإنما تسير به في جزم ويقين، وأن قول سيدنا إبراهيم عليه السلام لا أحب الآفلين فيها بيان أن الصلة بين الفطرة وإلهها صلة حب، والآصرة هي آصرة القلب، وفطرة سيدنا إبراهيم عليه السلام لا تحب الآفلين، ولا تتخذ منهم إلهاً، إن الإله الذي تحب الفطرة لا يغيب" (٦٠).

وبعدما أثبت سيدنا إبراهيم عليه السلام أن هذا الكوكب يستحيل أن يكون إلهاً، انتقل بهم لرؤية القمر، ويتجدد المشهد في رحلة أخرى ليثبت لهم أن هذه النفس يمكن أن تصل إلى باريها - سبحانه وتعالى -، بالتأمل في ملكوت خلقه سبحانه، وحصل كما في المشهد الأول مع الكوكب، رأى القمر بازغا، فقال: هذا ربي، ثم

(٥٩) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٢، ص ١١٤٠ (بتصرف).

(٦٠) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٢، ص ١١٤٠ (بتصرف).

غاب، هنا أراد سيدنا إبراهيم عليه السلام بأن يُرسخ في قومه أن النفس بحاجة إلى العون من ربها الحق الذي تجده في ضميرها وفطرتها، وقال: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ (الأنعام/٧٨).

المقطع الثالث: قول الحق سبحانه: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام/٧٨ و٧٩)

ويتكرر المشهد للمرة الثالثة، وفي هذه المرة رأى الشمس، فقال لقومه: هذا ربي، فنتقل سيدنا إبراهيم عليه السلام من القمر إلى الكوكب والآن إلى الشمس وادعاء لقومه: هذا هو الرب أنه أكبر من الكوكب والقمر، ومع هذا لم يثبت لقومه بأن هذا هو الرب بسبب غيابه، ثم تبرأ عليه السلام من جميع الشراكيات قائلا: ﴿يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام/٧٨). "أي: من عبادة الآلهة والأصنام ودعائه إلهًا مع الله تعالى ذكره".^(٦١)

سيدنا إبراهيم عليه السلام في هذه المشاهد يرى السنن الكونية ويستخدمها حججا وبراهين لقومه، "إنه يرى الأشياء بكيانه المتطلع إلى إله يطمئن به ويطمئن إليه، ويستقر على قرار ثابت..."^(٦٢).

وبعد هذه الرحلة التي يحاور فيها سيدنا إبراهيم عليه السلام قومه من خلال الفطرة الأصيلة، الباحثة عن خالق هذا الكون، المدير والمصرف له، فلم يبرهن لنفوس قومه إلا أن هذا كله خلقا من صنع خالقٍ وهي أثر تدل عليه سبحانه اللطيف الخبير، فلا بد من التوجه إلى الخالق الصانع، فقال الحق سبحانه وتعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام/٧٩).

^(٦١) الطبري، محمد بن جرير (٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج ١١، ص ٤٨٧.

^(٦٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٢، ص ١١٤٠.

وبعد أن كان الحوار بين ابن وأبيه ثم انتقل الحوار إلى حوارٍ نفسي، ينتقل الآن من مكنون هذه النفس بعدما علمت الحقيقة وأيقنتها إلى حوارٍ علي جمهوري.

المقطع الرابع: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ٨٠ و٨١)

إن سيدنا إبراهيم عليه السلام بعدما أثبت أن كل ما في هذا الوجود لا يستحق العبادة، وإنما وجود الوجود دليل على المعبود سبحانه وتعالى، واستقرأ هذا في الفطرة الأصيلة، توجه إلى خالق هذه الموجودات من سموات وأرض حنيفاً.

ثم حاجه قومه، والحاجة هي "المجادلة والمغالبة في إقامة الحجة، والحجة الدلالة المبينة للمحجة"^(٦٣)، فكان جواب سيدنا إبراهيم عليه السلام أتُحاجوني في الله وقد هدان؟ وذكر سيد قطب في الظلال: "إن الله سبحانه وتعالى أخذ بيد سيدنا إبراهيم عليه السلام، وفتح بصيرته، وهداه إليه، وعرفه به... فما جدالك في أمر أنا أجده في نفسي ولا أطلب عليه الدليل... فهدايتي لي إليه هي الدليل"^(٦٤).

وبعدما أثبت سيدنا إبراهيم عليه السلام وجود الله تعالى بأسلوب المعرفة الفطرية لله سبحانه وتعالى، ازداد سيدنا إبراهيم عليه السلام قوة، وهي ثمرة الإيمان بالله سبحانه وتعالى، فنفى سيدنا إبراهيم عليه السلام الخوف عن نفسه: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ (الأنعام: ٧٩).

^(٦٣) محمد رشيد، تفسير المنار، ج ٧، ٤٧٨.

^(٦٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٢، ص ١١٤٢ (بتصرف).

يقول سيد قطب: "وكيف يخاف من وجد الله؟ وماذا يخاف ومن ذا يُخاف؟ وكل قوة -غير قوة الله- هزيلة وكل سلطان -غير سلطان الله- لا يُخاف" (٦٥).

ويظهر توغل الإيمان في قلب سيدنا إبراهيم عليه السلام في إسناد أمره لله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الأنعام/٨٠)، يقول سيد قطب: "لا يريد أن يجزم بشيء إلا مرتكنا إلى مشيئة الله الطليقة، وإلى علمه الشامل" (٦٦).

وهنا يؤسس سيدنا إبراهيم عليه السلام مبدأ عقديا مهما وهو أن النفع والضرر بيد الله سبحانه وتعالى، وهو الحامي والراعي سبحانه.

يقوله سبحانه: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ٨١)

إن من تعلق قلبه بالله سبحانه وتعالى ليس كمن أُشرب في قلبه حب جماد، خاصة إن كان هو المثبت لحقيقة خالق هذا الكون، بطريق التأمل في آيات الله وسننه.

يقول سيد قطب: "إنه منطلق المؤمن الواثق المدرك لحقائق الوجود... كيف يخاف إبراهيم من هذه الآلهة الزائفة العاجزة، ولا يخافون أنهم أشركوا بالله ما لم يجعل له سلطنا ولا وقوة من الأشياء والأحياء؟" (٦٧).

فأي الفريقين أحق بالأمن؟ من عرف الله سبحانه وتعالى وءامن به أم من أشرك بالله سبحانه وتعالى بصنم لا يملك دفع ضر عن نفسه ولا جلب منفعة فضلا عن غيره.

(٦٥) سيد، قطب، في ظلال القرآن، ١١٤٢

(٦٦) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٢، ص ١١٤٢.

(٦٧) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٢، ص ١١٤٢.

المقطع الخامس: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢) وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ (الأنعام/٨٢ و٨٣).

وفي هذه الآية الكريمة يتقرر مبدأ أن الأمن والهداية ما هي إلا ثمرة يانعة من ثمار الإيمان الحقيقي الخالص لله سبحانه وتعالى.

يقول سيد قطب في هذه الآية: "الذين آمنوا وأخلصوا أنفسهم لله، لا يخلطون بهذا الإيمان شركا في عبادة ولا طاعة ولا اتجاه، هؤلاء لهم الأمن، وهؤلاء هم المهتدون" (٦٨).

ويقول سيد قطب: "ولقد كانت هذه هي الحجة التي ألهمها الله إبراهيم ليدحض بها حجتهم التي جاءوا بها يجادلونه، ولقد كشف لهم عن وهن ما هم عليه من تصورهم..." (٦٩).

وخلاصة القول: أن الله سبحانه وتعالى أقام الحجة على قوم سيدنا إبراهيم عليهم بإلهام نبيه إبراهيم عليه السلام الحجج والبراهين التي تثبت وجود الله سبحانه وتعالى.

ونستنتج من هذا مما سبق مايلي:

(١) أن حوار سيدنا إبراهيم عليه السلام نموذجاً للحوار المقنع، إذ إنه بدأ مع أبيه ثم انتقل إلى حوار فطرته النقية الأصيلة، وبعدما تيقن وتبينت له الحقيقة بالحجج والبراهين، انتقل عليه السلام إلى الحوار العلني الجمهوري وهو محتاجته لقومه عليه السلام.

(٢) في هذا السرد القرآني لقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام نستخلص أن هناك هدفا من الحوار وهو الوصول إلى معرفة الله سبحانه وتعالى.

(٣) اللطف والهدوء في الحوار، بصرف النظر عن اقتناع الطرف المحاور أو رفضه للفكرة.

(٦٨) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٢، ص ١١٤٢.

(٦٩) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٢، ص ١١٤٢.

٤) يجب على المسلم أن يصل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى من خلال النظر في ملكوت الله سبحانه وتعالى، وأن يستقر الإيمان بالله في قلبه ويطمئن به.

٥) أن في قضايا العقيدة الإسلامية لا يجوز للمسلم أن يُسلم بمجرد الظن، وإنما بالدليل القطعي.

٦) التدرج في إقامة الحجة على المخالف لنا في المبدأ إلى أن نصل به إلى درجة اليقين.

٧) الثبات على المبدأ عند ثبوت الدليل والعمل به، وإن كنت بمفردك وسط جمع مخالف لك.

٨) أن الحجة في بعض الأحيان تكون ساطعة كالشمس في كبد السماء ولكن الطرف المناقش يصد عنها، فصدوده عن الحق لا يغني شيئاً.

٩) الاستقرار والاطمئنان النفسي في المحاورة.

١٠) أن سر الأمن والهداية هو الإيمان الخالص بالله تعالى

المطلب الثاني: أسلوب القصة

يعد أسلوب القصة من الأساليب الجذابة للنفس الإنسانية والتي تشوق السامع وتجذبه وتلفت انتباهه وتركيزه، وهي رحلة فكرية تجعل للإنسان وجهاً للمقارنة بين حاله وبين ما فعلته الأمم السابقة، ثم تترك مساحة لعقله ليتأمل ثم يهتدي الطريق المستقيم.

والموضع المختار من هذه السورة الكريمة لهذا الأسلوب هو حكاية الله سبحانه وتعالى لعادات الجاهلية وبيان حكمه فيها. وسبب اختيار الحكاية لعدم وجود قصة تتناسب مع مضمون البحث.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَرَعِمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣٨)﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ

عَلِيمٌ (١٣٩) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٣٩﴾ (الأنعام/١٣٨ و١٣٩).

وفي هذه الآية "قال أبو جعفر: وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء الجهلة من المشركين أنهم كانوا يحرمون ويحللون من قِبَل أنفسهم، من غير أن يكون الله أذن لهم بشيء من ذلك" (٧٠).

ونستنتج من ذلك أن الإنسان لا يجوز له أن يحلل أو يحرم من تلقاء نفسه، فالنفس قد تحب اليوم ماتكرهه غدا والعكس صواب، وإنما التشريع من رب حكيم عليم خبير بعباده بصير بأحوالهم ومصالحهم، ويكون ذلك بالرجوع إلى الكتاب والسنة النبوية والإجماع.

ومن تلك العادات التي تنبأها المشركون أنهم كانوا يصنفون ويقسمون، ومن هذه التقسيمات ما ذكره ابن عاشور في التحرير: "وقد صنفوا ذلك ثلاثة أصناف:

أ- صنف محجر على مالكة انتفاعه به، وإنما ينتفع به من يعينه المالك. والذي يؤخذ مما روي عن جابر بن زيد وغيره: أنهم كانوا يعينون من أنعامهم وزرعهم وثمارهم شيئا يحجرون على أنفسهم الانتفاع به، ويعينونه لمن يشاءون من سدنة بيوت الأصنام، وخدمتها، فتحر أو تذبح عند ما يرى من عينت له ذلك، فتكون لحاجة الناس والوافدين على بيوت الأصنام وإضافتهم، وكذلك الزرع والثمار تدفع إلى من عينت له، يصرفها حيث يتعين. ومثال ذلك: أشياء معينة بالاسم، لها حكم منضبط مثل البحيرة: فإنها لا تنحر ولا تؤكل إلا إذا ماتت حتف أنفها، فيحل أكلها للرجال دون النساء، وإذا كان لها در لا يشربه إلا سدنة الأصنام وضيوفهم.

(٧٠) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١٢، ص ١٩٣.

ب- أنعام حرمت ظهورها، أي حرم ركوبها، منها الحامي: لا يركبه أحد ومنها أنعام يجرمون ظهورها، بالنذر، ومثال ذلك: يقول أحدهم: إذا فعلت الناقة كذا من نسل أو مواصلة بين عدة من إناث، وإذا فعل الفحل كذا وكذا، حرم ظهره.

ت- أنعام لا يذكرون اسم الله عليها، أي لا يذكرون اسم الله عند نحرها أو ذبحها، يزعمون أن ما أهدي للجن أو للأصنام يذكر عليه اسم ما قرب له^(٧١).

ونستنتج من هذا المطلب أن لأسلوب القصة فؤائد وميزات منها:

(١) أن الحكاية لها أثر في النفس، وخاصة عندما تكون حقيقية واقعة، فيقارن الإنسان فيها بين واقعه، وواقع المحكي عنهم، فما كان إيجابيا يتوافق مع المبدأ الصحيح يأخذه، وما كان سلبيا يتركه.

(٢) "الاقتصار من حوادث القصة على ما يتعلق به الغرض"^(٧٢).

(٣) "إقحام النصائح في ثنايا القصة بأسلوب العرض التصويري"^(٧٣).

المطلب الثالث: أسلوب التدليل الكوني

هذا الكون الواسع الرحب بعناصره المختلفه، كواكب ومجرات، سماء وأرض، نجوم وشمس، كل هذا محيط بالإنسان وبيعت فيه روح التأمل والتفكير.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٩٥) فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦)

(٧١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ١٠٨.

(٧٢) البوطي، من روائع القرآن، ص ١٩٦.

(٧٣) البوطي، من روائع القرآن، ص ١٩٨ و ص ١٩٩ (بتصرف).

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (٩٨) وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ (الأنعام/٩٦).

افتتحت هذه الآيات الكريمة بمشاهد عظيمة، تذهل العقل وتبين روعة خلق الخالق المبدع سبحانه وتعالى.

"وافتحاح الجملة بأن مع أنه لا ينكر أحد أن الله هو فاعل الأفعال المذكورة هنا، ولكن النظر والاعتبار في دلالة الزرع على قدرة الخالق على الإحياء بعد الموت كما قدر على إماتة الحي، لما كان نظرا دقيقا قد انصرف عنه المشركون فاجترأوا على إنكار البعث، كان حالهم كحال من أنكر أو شك في أن الله فالق الحب والنوى، فأكد الخبر بحرف (إن)" (٧٤)

وفي هذا المقطع ثمان آيات كونية: وهي: فلق الحب والنوى، إخراج الحي من الميت والميت من الحي، فلق الإصباح، جعل الليل سكنا، جعل الشمس والقمر حسبانا، جعل النجوم في السماء، إنشاء الله الناس من نفس واحدة، إنبات أنواع النباتات.

١. فلق الحب والنوى.

الفلق: "شق وصدع بعض أجزاء الشيء عن بعض، والمقصود الفلق الذي تنبثق منه وشائج النبت والشجر وأصولها، فهو محل العبرة من علم الله تعالى وقدرته وحكمته" (٧٥)

(٧٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٧، ص٣٨٧.

(٧٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٧، ص٣٨٨.

الحَبُّ: "اسم جنس جمعي، واحده حبة، والحب هو ما يكون في السنبِل والأَكمام، كالقمح والشعير، والنَّوى: عَجَم الثمرات، الواحدة نواة، كنواة التمرة ونواة الزيتون"^(٧٦).

"إن الله سبحانه وتعالى هو الذي يفلق الحب والنوى، فيخرج منها جذورا تمتص ما يُلائم الطبعة التي فطرها عليها، من عناصر الأرض مع الماء، وينبت منها نبات يتصاعد حتى يكون زروعا وأشجارا، تخرج منها ثمرات بحسب ما قدره الله سبحانه وتعالى لكل صنف ونوع وجنس منها"^(٧٧)

ومثال ذلك ما نشاهده في الأرض الزراعية، أن المزارع يخصص مساحة معينة من المزرعة لزراعة شجرة العنب، ثم يهيئ الأرض بالحرثة والأسمدة الطبيعية، ثم يضع البذور، ثم يسقيها بماء واحد من نفس البئر أو الفلج، فتخرج شجرة العنب بثمار مختلفة الألوان أصفر وأخضر وبنفسجي.

في هذا المثال نجد أن المزارع واحد والأرض واحدة والبذور واحدة ومصدر الماء واحد إلا أن قدرة الله سبحانه وتعالى اقتضت أن تخرج الأشجار بمختلف الألوان، متفاوتة الطعم بين حلو وحامض.

وكذلك المتأمل في بقية النباتات والزررع المختلفة يجد أن جهد المزارع واحد والأرض واحدة ومصدر الماء واحد إلا أنه يخرج من تلك الأرض نباتات مختلفة في الشكل والحجم، مختلفة في الثمر.

والأعجب والأعظم من هذا ما نشاهده بعد هطول الأمطار، يجد الإنسان أرضا قاحلة، وبعد نزول الغيث رحمة من الله تعالى يراها مخضرة نبتت فيها الحشائش.

ويقول المفسر الميداني: "هل يفعل هذا أحد في الوجود غير الله؟ وهل يتابع أطوار النبات منذ فلق حبه أو نواة حتى اكتماله، أحد غير الرب الخالق العليم الحكيم الرحيم جلا جلاله وعظم سلطانه".

^(٧٦) الميداني، معارج التفكير ودقائق التدبر، ج ١١، ص ٣٤٣.

^(٧٧) الميداني، معارج التفكير ودقائق التدبر، ج ١١، ص ٣٤٣ (بتصرف).

٢. إخراج الحي من الميت، والميت من الحي.

ويسرد سيد قطب في هذه الآية الكريمة محاولة الناس لتفسير ظاهرة الحياة قائلا: "ومنذ أن شرد الناس من الكنيسة في أوروبا، وهم يحاولون تفسير نشأة الحياة، بدون التجاء إلى الاعتراف بوجود الله، ولكن هذه المحاولات كلها فشلت جميعا، ولم تبق منها في القرن العشرين إلا مباحكات تدل على العناد، ولا تدل على الإخلاص"^(٧٨).

ثم خرجت مجموعة من النظريات إلا أن هذه النظريات بمرور الزمن وتطور العلم ثبت تناقضها وبطلانها، وكلها جهود تبذل في سبيل معرفة سبب وجود هذا الكون ومن الذي أحياه؟، هل بفعل فاعل أم وجد مصادفة؟

وخلاصة القول في ذلك: أن هذا الكون المنسجم بعضه ببعض في نظام تكوينه وحركته، لا يعقل أن يكون مصادفة وإنما هو بفعل فاعل، وهو الله الخالق سبحانه وتعالى.

ودليل ذلك أن إحياء الشيء لا يتصور إلا من عدم، يقول الميداني في تفسيره: "أن الحياة في شيء ما بحسب خطة الله التكوينية، تكون بنفخ نسمة الروح التي هي من أمر الله التكويني مباشرة، في جسد لا حياة فيه"^(٧٩)، وإن الإماتة لا تكون إلا في شيء محدث.

وأصعب تحد في المسألة هو الإحياء، وأن الله سبحانه وتعالى تحدى الخلق جميعا منذ نزول القرآن الكريم، وجعله تحديا مفتوحا إلى قيام الساعة بأن يخلقوا ذبابا، والذباب من أصغر وأحققر المخلوقات في الكون، ومع تطور العلم الحديث وازدهار الصناعة والتقدم التكنولوجي عجز البشر أن يصنع ذبابة.

^(٧٨) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٢، ص ١١٥٤.

^(٧٩) الميداني، معارج التفكير ودقائق التدبر، ج ١١، ص ٣٤٤.

ومن الإنصاف أن نقول نجح المبتكرون والمخترعون في صناعة رجل آلي أو ما يسمى بمصطلحهم (الروبوت)، وأن هذه الصناعة أصبحت تحاكي الرجل البشري الطبيعي في بعض الأشياء، ومع هذا لا نحكم عليه بأنه إحياء. وذلك لعدة أسباب منها:

(١) أن هذه الصناعة لم تصنع من عدم، وإنما صنعت من مادة موجودة في الطبيعة. وهذا لا يطلق عليه إحياء، وإنما تحويل مادة من شكل إلى آخر.

(٢) أن الإحياء يكون بنفخ روح تجعل له قدرة التفاعل مع المحيط الذي حوله من غير حد، وليس برمجة تقيده في إطار محدود.

(٣) أن المخلوق سواء أكان إنساناً أم حيواناً، تحركه دوافع في حياته اليومية كالطعام والشراب، والغريزة، والإحساس بالأمومة وهذا لا تفعله آلة.

(٤) أن المخلوق له حرية الفكر، والقدرة على التكاثر والتناسل، والإنتاج في شتى المجالات والفنون العلمية والعملية، وهذه الآلة لا تفكر وإنما لها تعليمات في نطاق معين وفق برمجة الصانع لها، وتعجز على التكاثر والتناسل، وإنتاجها يكون في المجال الذي اخترعت من أجله.

٣. فلق الإصباح

ويبين المولى الكريم سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة بأنه هو فلق الإصباح، والإصباح هو "أول النهار عند الفجر، وفلقه: جعله ينشق ظاهراً بعد ليل مظلم"^(٨٠).

ومعنى فلق الإصباح أي نهاية الليل وبداية ظهور النهار، ومن لطائف هذا المشهد ما ذكره سيد قطب في ظلال القرآن مبيناً وجه الشبه والتقارب بين فلق الله للحب والنوى وفلق الإصباح قائلاً: "وانفلاق الإصباح من

^(٨٠) الميداني، معارج التفكير ودقائق التدبر، ج ١١، ص ٣٤٦.

الظلام حركة تشبه في شكلها انفلاق الحبة والنواة، وانبثاق النور في تلك الحركة، كانبثاق البرعم في هذه الحركة، وبينهما مشابهة الحركة والحيوية والبها والجمال سمات مشتركة" (٨١).

٤. جعل الليل سكنا.

إن الله سبحانه وتعالى خلق النهار لطلب الرزق وكسب المعيشة، وجعل الليل سكنا لهذه النفس البشرية، "لتحصل فيه راحة النفس من تعب العمل" (٨٢).

٥. جعل الشمس والقمر حسبانا.

وجاء في التحرير أن المراد في هذه الآية "أي علامة حساب للناس يحسبون بحركاتها أوقات الليل والنهار، والشهور، والفصول، والأعوام. وهذه منة على الناس وتذكير بمظهر العلم والقدرة، ولذلك جعل للشمس حسبانا كما جعل للقمر، لأن كثيرا من الأمم يحسبون شهورهم وأعوامهم بحساب سير الشمس بحلولها في البروج وبتمام دورتها فيها. والعرب يحسبون بسير القمر في منازلها" (٨٣).

وهذه الآية تظهر عجائب عظمة الله تعالى للإنسان، وأن كل ما في هذا الكون مخلوق بنظام دقيق متزن، وبقدر محدد معلوم، لا الليل يطغى على النهار، ولا النهار يطغى على الليل، يقول سبحانه: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس/٤٠).

٦. جعل النجوم في السماء

(٨١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٢، ص ١١٥٧.

(٨٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٧، ص ٣٩١.

(٨٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٧، ص ٣٩٢.

"والمقصود الأول من هذا الخبر الاستدلال على وحدانية الله تعالى بالإلهية، فلذلك صيغ بصيغة القصر بطريق تعريف المسند والمسند إليه، لأن كون خلق النجوم من الله وكونها مما يهتدى بها لا ينكره المخاطبون ولكنهم لم يجروا على ما يقتضيه من إفراده بالعبادة"^(٨٤).

وفي القديم كانت "النجوم أدلة في البر والبحر إذا ضللتهم الطريق، أو تحيرت فلم تهتدوا فيها ليلا تستدلون بها على المحجة، فتهتدون بها إلى الطريق والمحنة، فتسلكونه وتنجون بها من ظلمات ذلك، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (النحل/١٦)، أي: من ضلال الطريق في البر والبحر"^(٨٥).

٧. إنشاء الله الناس من نفس واحدة

وفي هذه الآية الكريمة تذكير للناس بأن أصلهم واحد، وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أنشأهم، فالإنشاء هو "الإحداث المصحوب بالتكامل المتدرج غالبا، ومن نفس واحدة هي نفس آدم أبي البشر عليه السلام"^(٨٦).
ثم جعل الله سبحانه وتعالى لهذه النفوس خاصية التكاثر والتناسل، وهذه ميزة بين ما خلقه الله تعالى وبين ما يصنعه البشر، وبيان عظمة الله تعالى في خلقه وضعف الإنسان في صنعه.

٨. إنبات أنواع النباتات.

"قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: والله الذي له العبادة خالصة لا شريك فيها لشيء سواه، هو الإله الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء"، فأخرجنا بالماء الذي أنزلناه من السماء من غذاء الأنعام

^(٨٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٧، ص ٣٩٣.

^(٨٥) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١١، ص ٥٦١.

^(٨٦) الميداني، معارج التفكير ودقائق التدبر، ج ١١، ص ٣٥٠.

والبهائم والطير والوحش وأرزاق بني آدم وأقواتهم، ما يتغذون به ويأكلونه فينبئون عليه وينمون. وإنما معنى قوله: "فأخرجنا به نبات كل شيء"، فأخرجنا به ما ينبت به كل شيء وينمو عليه ويصلح^(٨٧).

ونستنتج من ذلك حقيقة علمية وظاهرة كونية من إبداع خلق الله تعالى، وأسميها بتكامل الحياة، وأعني به أن كل ما في هذا الكون يحتاج كل واحد منه إلى الآخر، فالنبات بمختلف ألوانه وأصنافه يحتاج إلى تربة الأرض، والتربة تحتاج إلى الماء لترتوي وتخصب.

وأسلوب التدليل الكوني له العديد من الفوائد ومن بينها:

(١) أن كل آية من آيات الكون تدل على وجود الله تعالى.

(٢) إن إثبات وجود الخالق سبحانه وتعالى للمنكر وجوده، لا تكون بالأدلة النقلية فهو منكر للقرآن، وإنما يكون بأسلوب التدليل الكوني والنظر في رحاب هذا الكون وآفاقه، فإن ءامن تُدعم الألة الكونية بالأدلة النقلية منالقرآن الكريم والسنة النبوية.

(٣) إن الإنسجام والتكامل والتناغم الكوني يزيد المؤمن إيماناً، ويستفيد منه في حياته اليومية، ويدفعه للوحدة الإسلامية، والتسامح والتعايش مع مختلف الشرائع السماوية.

(٨٧) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١١، ص ٥٧٣.

المطلب الرابع: أسلوب الوعظ

جاء في مقاييس اللغة أن كلمة "وَعَظَ بمعنى التخويف، قال الخليل: هو التذكير بالخير وما يرق له قلبه"^(٨٨)، وعرفه ابن عاشور: "هو القول الذي يلين نفس المقول له لعمل الخير"^(٨٩)، والموضع المختار هو هذه الآيات المباركات.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢١) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْصُرُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣) انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٦) وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨) وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَدْ وَفَوْا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَاحَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ (الأنعام/٣١:٢١)

وفي هذه الآيات الكريمة رحلة عقلية أخرى إلى عالم غيبي في مشهد يكشف بعض الحقائق التي لا يدركها العقل إلا بمجرد التصديق والإيمان بها لورودها في الكتاب العزيز.

وافتتحت هذه الآيات الكريمة بأسلوب استفهام ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ (الأنعام/٢١) "يراد به إثبات أنه لا يوجد أشد ظلما من فريقين وهما: الأول: افتراء على الله كذبا والثاني: كذب بآيات الله"^(٩٠)

^(٨٨) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ص ١٠٦١ (بتصرف).

^(٨٩) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٤، ص ٣٢٣.

"والظلم كناية عن الشرك، في صورة تفضيع له وتقبيح، وهو التعبير الغالب في السياق القرآني عن الشرك" (٩١).

وقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (الأنعام/ ٢١) أي: "إنه لا يفلح القائلون على الله الباطل، ولا يدركون البقاء في الجنان، والمفترون عليه الكذب، والجاحدون بنبوة أنبيائه" (٩٢).

وبين الله سبحانه وتعالى مصير المفتريين عليه وعلى آياته الكذب يوم المحشر، ويقول الطبري في تأويل الآية: "قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء المفتريين على الله كذبًا، والمكذبين بآياته، لا يفلحون اليوم في الدنيا، ولا يوم نحشرهم جميعًا يعني: ولا في الآخرة" (٩٣).

وقوله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (الأنعام/ ٢٢) أي اذكر يوم نحشرهم جميعاً للحساب ونقول لهم على رؤوس الأشهاد ﴿أَيْنَ شُرَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (الأنعام/ ٢٢) أي أين آلهتكم التي جعلتموها شركاء الله؟" (٩٤).

وبهذا السؤال يتبين لهم أن الذي كانوا يعبدونه من دون الله تعالى لا يملك لهم نفعا يوم القيامة "لم تكن عاقبة كفرهم الذي ألزموه أعمارهم، وقتلوا عليه وافتخروا به، وقالوا دين آبائنا إلا جحوده والتبرؤ منه، والحلف على الانتفاء من التدين به. ويجوز أن يراد: ثم لم يكن جوابهم إلا أن قالوا فسمى فتنة، لأنه كذب" (٩٥).

(٩٠) الميداني، معارج التفكير ودقائق التدبر، ج ١١، ص ١٨٩ و ١٩٠.

(٩١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٢، ١٠٦٣.

(٩٢) الطبري، جامع بيان القرآن في تأويل القرآن، ج ١١، ص ٢٦٩.

(٩٣) الطبري، جامع بيان القرآن في تأويل القرآن، ج ١١، ٢٩٧.

(٩٤) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ٣٥٦.

(٩٥) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣،

١٤٠٧هـ، ج ٢، ص ١٢.

وقوله تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام/٢٤)، يقول صاحب المنار: "وقوله تعالى هنا: (انظر) من النظر العقلي، وكذب الكفار في الآخرة ثابت بمثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (المجادلة/١٨)"^(٩٦).

ثم يصور المولى الكريم سبحانه وتعالى في الآيتين التي بعد هذه الآية حال المشركين في الدنيا وهم ينكرون ويحسدون ويكذبون بآيات الله تعالى ولا يؤمنون بها ويجادلون النبي -صلى الله عليه وسلم- بقولهم إن هذا إلا أساطير الأولين، يقول ابن عاشور: "وعدل عن الإضمار إلى الإظهار في قوله: يقول الذين كفروا لزيادة التسجيل عليهم بالكفر، وأنهم ما جاءوا طالبين الحق كما يدعون ولكنهم قد دخلوا بالكفر وخرجوا به فيقولون إن هذا إلا أساطير الأولين، فهم قد عدلوا عن الجدل إلى المباهطة والمكابرة"^(٩٧).

وقول المولى الكريم: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ (الأنعام/٢٦)، "أي هؤلاء المشركون المكذبون ينهون الناس عن القرآن وعن اتباع محمد عليه السلام ويواعدونهم عنه، "وَأِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ" (الأنعام: ٢٦)، أي وما يهلكون بهذا الصنيع إلا أنفسهم وما يشعرون"^(٩٨).

ثم يصور المولى الكريم سبحانه وتعالى حال المشركين في الآخرة، يقول سيد قطب: "ولو ترى ذلك المشهد! لو تراههم وقد حبسوا على النار لا يملكون الإعراض والتولي! ولا يملكون الجدل والمغالطة! لو ترى لرأيت ما يهول! ولرأيتهم يقولون: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنُكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنعام/٢٧)"^(٩٩).

^(٩٦) محمد رشيد، تفسير المنار، ج ٧، ص ٢٨٩.

^(٩٧) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٧، ص ١٨٢.

^(٩٨) الصابوني، صفوة التفاسير، ج ١، ص ٣٧٥.

^(٩٩) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٢، ص ١٠٦٧ و١٠٦٨.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (الأنعام/٢٨) يقول ابن عاشور في بيان معنى هذه الآية: "ولما قيل بدا لهم في هذه الآية بقوله: ما كانوا يخفون علمنا أن البداء هو ظهور أمر في أنفسهم كانوا يخفونه في الدنيا، أي خطر لهم حينئذ ذلك الخاطر الذي كانوا يخفونه، أي الذي كان يبدو لهم، أي يخطر ببالهم وقوعه فلا يعلنون به فبدا لهم الآن فأعلنوا به وصرحوا معترفين به" (١٠٠).

ونستج من ذلك أن المشركين لهم صفتان لأولى في الحياة الدنيا ويظهر فيها: "صفة العناد والإعراض والمكابرة، والثانية في الآخرة ويظهر فيها: صفة الندم والحسرة" (١٠١).

قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (الأنعام/٢٩)، يبين المولى الكريم سبحانه وتعالى فيها أن المشركين لو ردو إلى الحياة الدنيا لقالوا هذه هي حياتنا، وسينكرون البعث.

يقول الزمخشري في تأويل الآية: "أي: ولو ردوا لكفروا ولقالوا ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ كما كانوا يقولون قبل معاناة القيامة. ويجوز أن يعطف على قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، على معنى: إنهم لقوم كاذبون في كل شيء، وهم الذين قالوا: إن هي إلا حياتنا الدنيا. وكفى به دليلاً على كذبهم" (١٠٢).

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُفِّقُوا عَلَىٰ رَجْعِهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (الأنعام/٣٠)، وفي بيان معنى هذه الآية الكريمة يقول الطبري: "قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يا محمد، هؤلاء القائلين: ما هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ﴿إِذْ وُفِّقُوا﴾ يوم القيامة، أي: حسبوا، ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِمْ﴾ يعني على حكم الله وقضائه فيهم ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ يقول: فقل لهم:

(١٠٠) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٧، ص ١٨٥.

(١٠١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٢، ص ١٠٦٥ (بتصرف).

(١٠٢) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامش التزيل، ج ٢، ص ١٦.

أليس هذا البعث والنشر بعد الممات الذي كنتم تنكرونها في الدنيا، حقاً؟ فأجابوا، فقالوا: بلى والله إنه لحق ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ يقول: فقال الله تعالى ذكره لهم: فذوقوا العذاب الذي كنتم به في الدنيا تكذبون بما كنتم تكفرون، يقول: بتكذيبكم به وجحودكموه الذي كان منكم في الدنيا" (١٠٣).

قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَاحْسِرَتُنَا عَلَى مَا فَطَرْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ (الأنعام/٣١).

يقول سيد قطب: "فهي الخسارة المحققة المطلقة خسارة الدينا والأخرة والمفاجأة التي لم يحسب لها أولئك الغافلون الجاهلون حساباً، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَاحْسِرَتُنَا عَلَى مَا فَطَرْنَا فِيهَا﴾ ثم مشهدهم كالدواب الموقرة بالأحمال ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ بل الدواب أحسن أحوالاً، فالدواب تحمل أثقالاً، وهؤلاء يحملون آثاماً" (١٠٤).

ونستنتج من ذلك أن الوعظ له العديد من المزايا والفوائد منها:

- ١) إثارة القلب ليندفع إلى الإيمان.
 - ٢) ترسيخ مبدأ الرقابة الداخلية في النفس.
 - ٣) التخطيط والنظرة المستقبلية، وخاصة للمصير الأبدي.
 - ٤) إزالة الأكنة من القلب ليفقه الحق.
 - ٥) إن الوعظ والتذكير باليوم الآخر يجعل للمؤمن هدفا يسعى إليه، ويبشر المضطهدين بالنصر والعدل الإلهي.
- رأي الباحث: أسلوب الوعظ من الأساليب المهمة في حياتنا اليومية، فهو أسلوب يُستخدم مع المتفق معك في المبدأ ولكن قد تصدر منه بعض الهفوات فيحتاج إلى موعظة ترقق قلبه وتدفعه إلى الإستقامة في السلوك.

(١٠٣) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١١، ص ٣٢٤.

(١٠٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٢، ص ١٠٧٢.

المطلب الخامس: أسلوب ضرب المثل

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرَ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠) قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى انْتَهِ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام/٧٠ و٧١).

ذكر الزمخشري في تأويل هذه الآية: "أي دينهم الذي كان يجب أن يأخذوا به لعباً ولهواً. وذلك أن عبدة الأصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك، من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة، ومن جنس الهزل دون الجد. واتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الأصنام وغيرها ديناً لهم" (١٠٥).

وقال صاحب المنار: "أن المشركون هم المقصودون أولاً وبالذات، ومثلهم كل من يعمل على شاكلتهم من المؤمنين وأهل الكتاب وغرتهم الحياة الدنيا الفانية، فأثروها على الحياة الآخرة الباقية" (١٠٦).

ونستنتج من ذلك أن الخطاب موجه لرسول الله -صلى الله عليه- وسلم وللمسلمين، كما قال سيد قطب: "ولقد كان هذا الأمر للرسول -صلى الله عليه- وسلم ويمكن في حدود النص أن يكون أمراً لمن وراءه من المسلمين" (١٠٧).

فالمسلمون يشملهم الخطاب ومن تسول له نفس بأن يتخذ الدين لعباً ولهواً يشملهم العتاب كما استفدنا ذلك من تفسير المنار.

(١٠٥) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٢، ص ٣٥.

(١٠٦) محمد رشيد، تفسير المنار، ج ٧، ص ٤٣١.

(١٠٧) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٢، ص ١١٢٧.

وفي هذه الآية الكريمة يضرب الله تعالى لنا مثالا أن الذي يشرك بالله بما لا ينفع ويضر بعد هداية الله تعالى له مثله كمثل الذي استهواه الشيطان يصبح حيران في الأرض تائه، وله أصدقاء يريدون له الخير، يدعونه إلى الهدى اثنتا.

وجاء في التحرير: " كذلك في الآية هو تمثيل لحال المرتد إلى الشرك بعد أن أسلم بحال من خرج في مهم فرجع على عقبيه ولم يقض ما خرج له. وهذا أبلغ في تمثيل سوء الحالة من أن يقال: ونرجع إلى الكفر بعد الإيمان... ثم ارتقى في تمثيل حالهم لو فرض رجوعهم على أعقابهم بتمثيل آخر أدق، بقوله ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ﴾ وهو تمثيل ببيئة متخيلة مبنية على اعتقاد المخاطبين في أحوال المسوسين. فالكاف في موضع الحال من الضمير في نرد على أعقابنا، أي حال كوننا مشبهين للذي استهوته الشياطين فهذه الحال مؤكدة لما في نرد على أعقابنا من معنى التمثيل بالمرتد على أعقابهِ" (١٠٨).

يقول سيد قطب: "إنه مشهد ذلك المخلوق التعيس: ﴿الَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ﴾ ولفظ الاستهواء لفظ مصور بذاته لمدلوله، وباليته يتبع هذا الاستهواء في في اتجاهه، فيكون له اتجاه صاحب القصد الموحد -ولو في طريق الضلال-... إنه العذاب النفسي يرتسم ويتحرك حتى ليكاد يحس ويلمس من خلال التعبير" (١٠٩).

ويقول الميداني: "إن الأهواء تتجاذبه من كل جانب إلى سبلها، وهي جميعها متفرقة مخافية لصراط الله المستقيم" (١١٠). ومثال ذلك من واقع الحياة العملية أن العامل في القطاع العام أو الخاص عندما يتجاذبه حب المنصب والمال ولا يُخلص في العمل ولا يتقنه إلا بقدر ما يرفع درجته المالية ومسماه الوظيفي فيعيش تائها في عذاب نفسي، ولا خلاص له من ذلك إلا باتقاء الله عز وجل وضبط نفسه من تلك الأهواء.

(١٠٨) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٧، ص٣٠٠ وص٣٠١.

(١٠٩) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص١٣١ وص١٣٢ (بتصرف).

(١١٠) الميداني، معارج التفكير ودقائق التدبر، ج١١، ص٢٩١.

وأسلوب ضرب المثل له العديد من الفوائد ونذكر منها:

- (١) "تصحيح العقيدة والسلوك"^(١١١).
- (٢) يعبر عن معانٍ كثيرة بكلمات قليلة.
- (٣) "توضيح الحق، وتثبيته بالحجج".
- (٤) فضح تناقض المشركين.
- (٥) بيان تفاهة الكافرين في الحقائق الكبرى"^(١١٢).
- (٦) "أن المثل يأخذ طابع القصة في بعض عرض الجزئيات وتفصيل صفاتها.
- (٧) تأتي أمثلة القرآن كلاما كاملا مستقلا بذاته دون ذكر للمعنى الممثل له على غرار ما هو معروف في مألوف اللغة العربية وأسلوبها"^(١١٣).

^(١١١) يزيد الحمزاوي، المدلولات التربوية للأمثال القرآنية (دراسة تحليلية لنصوص القرآن)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم القرآن، إشراف: د.عبدالقادر الأمير خياطي، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم النفس وعلوم التربية والارطوفونيا، السنة الجامعية ٢٠٠٥/٢٠٠٦م، ص ١٠١ (بتصرف).

^(١١٢) يزيد الحمزاوي، المدلولات التربوية للأمثال القرآنية (دراسة تحليلية لنصوص القرآن)، ص ١٠٢ (بتصرف).

^(١١٣) البوطي، من روائع القرآن، ص ١٨٢ (بتصرف)

الختامة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، ومن اتبع هداه، وسار على نهجه إلى يوم الدين، وبعد:

وفي ختام هذا البحث نلخص أهم ما توصلت إليه:

- ١) سورة الأنعام برهان على معرفة الله تعالى بواسطة العقل.
- ٢) أسلوب الحوار في سورة الانعام يقرر مجموعة من قواعد الحوار منها: اللطف والهدوء في الحوار، والاعتماد في مناقشة الطرف الآخر بالحجج والبراهين.
- ٣) سورة الأنعام احتوت على فقه الأولويات، فكانت القضية الأولى المراد علاجها قضية التوحيد وتصحيح السلوك إلا أنها عاجلت مجموعة من القضايا الجزئية.
- ٤) الإصلاح يبدأ بإصلاح النفس ثم يتسع إلى دائرة الأسرة ثم المجتمع.
- ٥) التنوع في أساليب العلاج أسهم في تغيير جذري لكثير من القضايا.

التوصيات

الحمد لله على تمام هذا البحث، وفي ختامه نخرج بالتوصيات الآتية:

(١) الأساليب المختارة من سورة الأنعام ينبغي أن تضاف في المناهج التعليمية سواءً أكان في المدارس أو

مراكز تعليم القرآن الكريم في المساجد وفق الخطة التالية:

أ- المرحلة الابتدائية: أسلوب القصة.

ب- المرحلة الأساسية: أسلوب التدليل الكوني وأسلوب الوعظ.

ت- المرحلة الثانوية: أسلوب الحوار وأسلوب ضرب المثل.

(٢) الدعاة إلى دين الله تعالى ينبغي عليهم أن يستخدوا الأساليب الخطابية القرآنية المتنوعة في دروسهم

ومحاضراتهم، وخاصة عندما يجادلون المختلف عنهم في المبدأ، وعدم الإكتفاء بالأدلية النقلية في إثبات

وحدانية الله تعالى، وإنما عليهم بالأدلة العقلية ثم الأدلة النقلية من الكتاب وسنة المصطفى الأواب.

(٣) ينبغي أن يكون منهج التأليف في العقيدة الإسلامية مشابهاً لمنهج القرآن الكريم من حيث الأساليب

والاعتناء بالقضايا الكبرى مثل: التوحيد والإيمان بالله تعالى ونفي الشركاء بأساليب متنوعة ومختلفة

يُخاطب بها المؤمن فتزيده إيماناً، ويُخاطب بها غير المؤمن فيؤمن بالله تعالى، فالتأليف في العقيدة

الإسلامية رسالة توجه للناس جميعاً وليست خاصة بالمؤمن فقط.

(٤) يجب على المسلمين جميعاً أن يرجعوا إلى القرآن الكريم في كل شؤون حياتهم لاسيما أساليب الحوار.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (١٢٧٠هـ)، روح المعاني، ت: علي عبد البراي عطيه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
- ابن إمام الكمالية، كمال الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن (٨٧٤هـ)، تيسير الوصول إلى منهاج الأصول من المنقول والمعقول، ت: د. عبد الفتاح أحمد قطب الدخيسي، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، طنطا، القاهرة، ط ١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- البوطي، د. محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن، مكتبة الفرابي، دمشق، د. ط.
- الخليلي، أحمد بن حمد، العقل بين جماع الطبع وترويض الشرع، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مكتب الإفتاء، سلطنة عمان ٢٠٠٨م.
- الخليلي، أحمد بن حمد، برهان الحق، الكلمة الطيبة، مسقط، سلطنة عمان، ط ١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (٥٣٨هـ)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ.
- الزيني، محمد بن عبد الرحيم، تحديد الخطاب الديني، دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر، المنصورة، ط ١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- الزيني، محمد بن عبد الرحيم، منهج للحوار بين اتجاهات الفكر الإسلامي، دار اليقين، مصر، المنصورة، ط ١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، ت: د. محمود محمد الطناحي و د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤١٣هـ.

- السبكي، علي بن عبد الكافي بن علي، الإيهاج في شرح المنهاج (منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي (٧٨٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ)، الإتيان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ)، لباب النقول في أسباب النزول، ت: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط ١، ١٤٤٢هـ/٢٠٠٢م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن جلال الدين (٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٣ هـ/١٤١٤ م.
- الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (١٤١٨هـ)، تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، قطاع الثقافة، ١٤١١هـ/١٩٩١م..
- شمس الدين الفناري، محمد بن حسين بن محمد (٨٣٤هـ)، فصول البدائع في أصول الشرائع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ.
- الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- الطبري، محمد بن جرير (٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد شاکر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٨٤م.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٤٢هـ/٢٠٠١م.

- القرضاوي، يوسف بن عبدالله، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر، ط ٣٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح (٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
- اللهبي، أحمد بن عوض الله، الماتريديّة دراسة وتقويمًا، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٣هـ.
- محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين (١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- محمد مصطفى، أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن والتفسير، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط ٢، ٢٠١٧م.
- المرداوي، علي بن سليمان (٨٨٥هـ)، ت: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- أبو منصور، محمد بن محمد بن محمود (٣٣٣هـ)، تفسير الماتريدي، ت: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ٤، ٢٠٠٥م.
- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، معارج التفكير ودقائق التدبر، دار القلم، دمشق، ط ٢، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
- ابن النجار، محمد بن أحمد بن عبد العزيز (٩٧٢هـ)، شرح الكوكب المنير، ت: د. محمد الزحيلي ود. نزيه حماده، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- الواحدي، علي بن أحمد (٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، ت: عصام عبدالمحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط ٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

الدراسات والأبحاث:

- الأستاذ الدكتور محمد بن عبدالرحمن الشايع، بحث بعنوان الحوار في قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم دروس ودلالات، مقدم لمؤتمر الحوار في الفكر الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الشارقة.
- قاسمي السعيد، المنهج القرآني في بناء العقيدة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإسلامية، شعبة العقيدة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في العقيدة الإسلامية، إشراف: د. سعيد فكرة، السنة الجامعية ٢٠١٣م/٢٠١٤م، ص ٢٧٥.
- يزيد الحمزاوي، المدلولات التربوية للأمثال القرآنية (دراسة تحليلية لنصوص القرآن)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم القرآن، إشراف: د.عبدالقادر الأمير خياطي، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم النفس وعلوم التربية والارطوفونيا، السنة الجامعية ٢٠٠٥/٢٠٠٦م.

الفهرس

الإهداء.....	١
شكر وعرفان.....	٢
ملخص البحث.....	٣
نتائج البحث.....	٥
المقدمة.....	٦
الفصل الأول: المفاهيم والأسس.....	٧
المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث.....	٨
المطلب الأول: مفهوم الخطاب.....	٨
المطلب الثاني: مفهوم العقل.....	١٠
المبحث الثاني: نظرة الإسلام إلى العقل.....	١١
المطلب الأول: حجية العقل.....	١١
المطلب الثاني: أهداف الخطاب القرآني وأثره في العقيدة الإسلامية.....	١٥
الفصل الثاني: الخطاب القرآني في سورة الأنعام.....	١٩
المبحث الأول: مقدمة عن سورة الأنعام.....	٢٠
المطلب الأول: مناسبة النزول.....	٢٠

المطلب الثاني: موضوعات السورة	٢٨
المبحث الثاني: تحليل الأساليب الخطابية في السورة	٣٠
المطلب الأول: أسلوب الحوار	٣٠
المطلب الثاني: أسلوب القصة	٣٨
المطلب الثالث: أسلوب التدليل الكوني	٤٠
المطلب الرابع: أسلوب الوعظ	٤٨
المطلب الخامس: أسلوب ضرب المثل	٥٣
الخاتمة	٥٦
التوصيات	٥٧
المصادر والمراجع	٥٨
الفهرس	٦١